

بسم الله الرحمن الرحيم

لا تكن عبداً للآلات

لا شك أن الآلات بوجه عام والميكانيكية والإلكترونية بشكل خاص أصبحت ذات تأثير كبير على حياة الإنسان في الوقت الحاضر ولا أرى مشكلة في ذلك بوجه عام. ولكن ماذا لو أصبحت الآلة ذات تأثير أكبر من اللازم. سؤال هام : هل تستطيع العيش بدون الآلات؟ نعم أنت تستطيع العيش جيداً بدون الآلات. كثير من الناس في الوقت الحاضر فضلوا البعد الكامل عن المدينة وقد أفردت قناة ناشيونال جيوغرافيك برنامجاً عن هذا الموضوع اسمه " العيش الحر ". بلا شك أنت لست في حاجة إلى الآلات بشكل ضروري بل هي رفاهية. لقد تكلم الدكتور مصطفى محمود في حلقة بعنوان " نوع آخر من الإدمان " عن إدمان الكمبيوتر وعن تأثير هذا الموضوع على الأسرة وأن الإنسان المدمن قد يدمر - بشكل كامل - حياته الأسرية بل والاجتماعية. لقد كان أحد مبرمجي الكمبيوتر في قرية سيك الأحد في المنوفية عندنا في مصر يعمل مدة ثلاثة أيام متواصلة على الكمبيوتر بلا نوم ولا أكل ولا شرب ولا كلام ولا حتى صلاة ولا حول ولا قوة إلا بالله حتى منعه الطبيب تماماً من العمل على الكمبيوتر. ومهندس آخر في مدينة العاشر من رمضان أصيب بانفجار في المخ من ضغط العمل على برمجة الكمبيوتر. ما هذا؟؟!! إن هذا الإدمان والإفراط بلغ حداً غير مقبول إطلاقاً. بل تعدى الأمر هذا إلى أن بعض الناس يعتبر السيارة والموبايل هي مقوماته الشخصية بمعنى أن من يتعامل معه كإنسان ذا قيمة سيعتبره ذا قيمة إذا كانت سيارته وموبايله على أحدث موديل .. ما هذه البلاهة والحماقة؟؟!!

إن الله تبارك وتعالى جعل ما في السماوات والأرض مسخراً للإنسان. وكرم الإنسان ولم يجعله عبداً على الحقيقة إلا لله وحده لا شريك له الذي صنعه وخلق له كل شيء. فكرامة الإنسان هي بسبب التقوى والعمل الصالح والعلم النافع والأخلاق الحسنة. فلا تكن مجنوناً بالمال والمنصب والشهرة والماديات والآلات. كل هذا مسخر لك من أجل أن تنفع نفسك وتنفع الناس.

أمر الله الإنسان بصلة الرحم والأقارب وبالإحسان إلى الجار وبصلاة الجماعة وبر الوالدين وأمره بالزواج وبمعاملة زوجته معاملة حسنة وتربية أولاده فأنت مأمور بأن تكون في علاقاتك الاجتماعية متزناً. لماذا تترك كل هذا وتظل مع الآلات. لقد أصبحت شبكة الإنترنت مثل شبكة العنكبوت بالنسبة لهؤلاء المدمنين فهو يظن أنها ستعلمه وتربطه بأصدقائه ومعارفه ويمكنه الريح من خلالها وبذلك يظل طول النهار والليل أمامها ليصاب بالقلب والسكري وأمراض المفاصل وبالاكتئاب والتوتر ويدمر حياته الأسرية والاجتماعية من أجل ماذا؟؟!!

إن الأبحاث التربوية والتعليمية تشير إلى أن تأثير هذه الأشياء مدمر على الحياة الاجتماعية وعلى التعليم كذلك !! لماذا؟؟

لأن المعلومات حتى تستقر في المخ يجب أن تكون:

- مركزة في موضوع واحد
 - وتأخذ وقتاً كافياً حتى تفهم وبعد أن تفهم تنتقل من جزء الذاكرة قصيرة المدى في المخ إلى جزء الذاكرة طويلة الأمد وعندها يكون قد تعلم هذا الموضوع بشكل جيد
- وهذا يكون بالقراءة المتأنية وحضور المحاضرات العلمية وليس بالمعلومات المبعثرة التي قد نجدها في الفيسبوك مثلاً. إن من يريد أن يتعلم من الفيسبوك يشبه شخصاً أحضر كل الكتب أمامه وبدأ يقرأ من كل كتاب جملة فأصبح ما يقرأه شبه هذا :
- إن الإلكترونات أحد مكونات الذرة. وسورينام دولة ذات غالبية مسلمة في أمريكا الجنوبية. في حين إن الجرجير رخيص الثمن ويمكنه إزالة البقع البيضاء التي تنشأ بسبب نقص التغذية لدى الأطفال. أما محرك السيارة فكانت كفاءته منخفضة في السيارات القديمة وارتفعت كثيراً في الآونة الأخيرة. والإمام ابن كثير هو أحد أهم المفسرين للقرآن الكريم.

هذه معلومات الفيسبوك مبعثرة وسريعة ولا يمكنها أن تعلم طفلاً صغيراً ولا مراهقاً ولا كهلاً ولا عجوزاً.

أما الناحية الاجتماعية فإن نقاط الصراع على الفيسبوك كثيرة. وقد كنت فتحت الفيسبوك قبل ذلك من أجل صلة الرحم فأغلقتة بعدها من أجل الحفاظ على صلة الرحم. إن الصراعات على الفيسبوك كثيرة ومتفاقمة وأحياناً لأسباب لا معنى لها. فقط أنا تركت الصفحات القديمة بلا تفاعل.

إن مدمني الآلات أصبحوا يقضون أوقات حياتهم التي يجب أن تكون في الضحك والحركة والنشاط والحياة الاجتماعية والعمل والتعلم يقضونها أمام جهاز أيا كان هذا الجهاز ناظرين في تركيز دائم وبرهقون عيونهم وأعصابهم ومفاصلهم بلا حركة كأنهم زومبي خرجوا من قبورهم للتو. وتعالوا نقضي الوقت مع هذا الزومبي منذ استيقاظه وحتى نومه. أولا الزومبي لا يفرق بين النهار والليل لأن كليهما شاشة الكمبيوتر في مضاءة. ثانيا الزومبي لا يعرف شيئا عن الحياة إلا من خلال روابط على الإنترنت في حين لا يمكنه تخيل هذه الأشياء كيف هي في الواقع ولو تعامل معها في الواقع سيكون تعامله سيئا جدا. عضلات الزومبي مترهلة وهو لا يمارس الرياضة ولا حتى مجرد الحركة وهو سريع الانفعال لأنه يعرض نفسه للتوتر الدائم بلا سبب. يستيقظ الزومبي في وقت ما حيث لا يوجد أحد في البيت حتى لا يزعجه أحد. الزومبي لديه آلاف الأصدقاء على الفيسبوك وليس له أي أصدقاء في الحقيقة. قد لا يعرف أسماء أقاربه حتى ومن الجيد أنه يعرف أسماء إخوته وأمه وأبيه. الزومبي يحب امرأة على الفيسبوك ونادرا ما يسعى للزواج بها بجدية. لأنه لا يعرف عنها أي شيء في الحقيقة وحقا هو لا يعرف إذا كانت هذه التي يحبها هي أحد المخادعين من أولئك الذين يريدون عمل مقلب معه. الزومبي يخرج في مظاهرات عن طريق اللايك والكومنتات فقط ولا تأثير له في الحياة السياسية الحقيقية. الزومبي يظن أن تأثيره كبير على مجتمعه بسبب التفاعل الفيسبوكي في حين أنه بلا تأثير في الحقيقة. هذا الكلام كثير منه كان ينطبق عليّ أنا قبل أن أترك إدمان الآلات.

ماذا حدث لي بعد أن تركت إدمان الآلات ؟ في البداية شعرت بالملل عدة أيام. بعدها بدأت أسعى للتفاعل مع المجتمع حولي من أجل التسلية بدأت أقوم بتحفيظ القرآن وتعليم الأطفال القراءة والكتابة بدون مقابل (وهل كنت أخذ مقابلا على إدمان الآلات ؟) بدأت بالمنطقة التي أنا فيها. ثم بدأت أفكر في عمل محاضرات هندسية والرجوع إلى الكتب التي وجدت فوقها الكثير من الغبار . أحد كتبي كان تحته حشرة ميتة وخيوط عنكبوت . شعرت بالتوتر للرجوع إلى المجتمع ولكنني أقل توترا مما كنت عليه أثناء إدمان الآلات. بدأت أختلط أكثر بمن يعملون فعلا في الحقيقة وينتجون وبدأت أشعر بفائدة قد أقدمها لهم. بدأت مشروعا تعليميا وحتى إن لم أكسب منه الكثير من المال إلا أنني أشعر فيه بتحسّن كبير في حياتي عما كان سابقا. لقد كنت تكلمت عن الاقتصاد الأخضر على الفيسبوك وسألت أحد الأذكىء من الذين كانوا يتابعونني على الفيسبوك (ما هو الاقتصاد الأخضر ؟) فأخبرني أنه (لا يعرف) في حين أنه أحد الذين أعجبوا بما كتبتة عن الموضوع على الفيسبوك (لايك) وقد أكد هذا لي أن الفيسبوك لا يصلح لنشر العلم. رغم أنني لا أستطيع التكلم عن كل ما أريد قوله في الواقع ورغم أن هناك بعض المشاكل بيني وبين بعض الناس ، إلا أنني أظن أن أدائي الآن في كل شيء أصبح أفضل بكثير. تخلّيت عن فكرة أنني الشخص العبقري الذي يعجب الناس بكلامه وأصبحت أفكر أنني الشخص الذي لديه معلومات جيدة وكثير من الأخطاء وهو يحتاج بشدة إلى التعاون مع من حوله. إنه الواقع الذي يحاول أن يهرب منه المدمنون ولكن في الحقيقة أنا أستمتع كثيرا اليوم كأنسان عادي جدا (ما أروع أن تعيش إنسان عادي يعيش الحياة بحلوها ومرها وسعادتها ومشاكلها ؟). اليوم أنا أبحث على الإنترنت ولكن بصحبة آخرين ومع مناقشات مفيدة تكشف لي أخطائي مرة وتكشف معلوماتي الجديدة مرة ولا أبحث إلا في ما يفيد الناس في الواقع وفي التطبيق العملي.

أعجبنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" اللهم إني أعودُ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ،
والهرم ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال ، اللهم أت نفسي تقواها ،
وزكّتها أنت خيرٌ من زكّائها ، أنت وليُّها ومولاها ، اللهم إني أعودُ بك
من علمٍ لا ينفعُ ، ومن قلبٍ لا يخشعُ ، ومن نفسٍ لا تشبَعُ ، ومن
دعوةٍ لا يُستجابُ لها "

رواه الإمام مسلم في صحيحه

والحمد لله رب العالمين